۱۶۶۰۷

مجله	التضامن الاسلامی
تاریخ نشر	جمادی الثانی ۱۳۹۲
شماره	دوازدهم سال بیست و ششم
شماره مسلسل	
محل نشر	مکهٔ مکرمه
زبان	عربی
نویسنده	محمد محمد ابو شهبه
تعداد صفحات	۷۱۶ — ۷۱۹
موضوع	التفسیر بالمأثور
سرفصلها	تفسیر بقر
کیفیت	
ملاحضات	

التفسير بالمأثور

بقلم فضيلة الأستاذ الدكتور
محمد محمد ابو شهبة

يقتضينا منهج هذا البحث ان اتكلم عن التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي والاجتهاد ، المقبول منه وغير المقبول ، والممدوح منه والمذموم، وعن اشهر كتب كل قسم، فعن طريق التفسير بالمأثور تدسست الموضوعات ، والاسرائيليات الى التفسير وكتبه وكتب التفسير بالرأي والاجتهاد مهما كانت اتجاهاتها ، وهما كانت مذاهب مؤلفيها لا تخلو من تفسير بالمأثور اذ من شرط التفسير بالرأي والاجتهاد المقبول الممدوح الاعتماد على المأثور فيما لا طريق له الا ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن الصحابة والتابعين ومن ثم تجد ان كتب التفسير سواء منها ما الف للمأثور فحسب أو ما جمع منها بين المأثور وغير المأثور لا تخلو من روايات ضعيفة ، وموضوعة ، ومن اسرائيليات مختلفة مكذوبة منها فتة الصقت بالرواية الاسلامية الصاقا فهي دخيلة عليها، ومدسوسة فيها ، لا تمت الى الاسلام وعلومه بسبب ، والتفسير الصحيح منها براء .

« التفسير بالمأثور »

أما كلمة « التفسير » فقد بنيت خلاصة اقوال العلماء فيها ، ورجحت ما رأيته راجحا وذلك في أول مقال في سلسلة بحث « العلوم التي لا بد منها للمفسر » في هذه المجلة الزهراء « الحج » أو « التضامن الاسلامي » وبقية كلمة المأثور فما معناها ؟

« المأثور » اسم مفعول من أثرت الحديث أثرا من بابي ضرب ، وقتل : نقلته ، والمأثر بفتحتين اسم منه ، وحديث مأثور أي منقول ففي القاموس « مادة أثر » (الأثر : محركه بقية الشيء ، جمعه آثار ، وأثور ، والخبر وخرج في اثره ، وأثره بعده وانتشره ، وتأثره تبع اثره ، وأثر فيه تأثيرا : ترك فيه أثرا ... ونقل الحديث ، وروايته كالاثاره ، والأثرة بالضم — يعني ضم الهمزة — يأثره — بكسر الثاء — ويأثره — بضم الثاء — (١) وعلى هذا فالتفسير بالمأثور يشمل التفسير بالمنقول متواترا كان أم غير متواتر .

فيشمل المنقول عن الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم ، والمنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والمنقول عن الصحابة رضوان الله عليهم ، والمنقول عن التابعين رحمهم الله تعالى ، وعلى هذه الأنواع الأربعة يقوم التفسير بالمأثور .

تفسير القرآن بالقرآن : —

هو تفسير بعض آيات القرآن بما ورد في القرآن نفسه ، فان القرآن العظيم يفسر بعضه بعضاً ، فما أجمل في مكان قد فسر وبين في مكان آخر ، وما اوجز في موضع قد بسط وشرح في موضوع آخر .

أمثلة من تفسير القرآن بالقرآن : —

فمن ذلك قوله تعالى في سورة الفاتحة «اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » (٢) فقد بين الله المنعم عليهم بقوله سبحانه : « ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا » (٣) وقوله تعالى : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، انه هو التواب

(١) القاموس المحيط جـ ١ ص ٣٦٢ ، المصباح المنير جـ ١ ص ٥ .

(٢) الفاتحة / ٦ ، ٧ .

(٣) النساء / ٦٩ .

الرحيم » (٤) فقد فسرت الكلمات في آية أخرى في قوله تعالى : « قالا : ربنا ظلمنا انفسنا ، وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » (٥) وقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم ما يريده (٦) فقد فسر قوله « الا ما يتلى عليكم » بقوله تعالى بعد : « حرمت عليكم الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به ، والمنخنقة ، والموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم ، وما ذبح على النصب ، وأن تستقسموا بالازلام ذلكم فسق » (٧) .

وقوله تعالى : « ان الانسان خلق هلوعا » فسر بما بعده « اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا » (٨) وبحسبنا هذا القدر من الأمثلة .

تفسير القرآن بالسنة : —

فان لم يوجد تفسير للقرآن في القرآن فليبحث عن ذلك بما بثت وصح في السنة والأحاديث ، فانها شارحة للقرآن ، ومبنية له قال تعالى : « فانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم، ولعلهم يتفكرون » (٩) وقال صلى الله عليه وسلم : « الا انني أوتيت الكتاب ومثله معه ... » رواه أبو داود وغيره والمراد بقوله «ومثله معه» السنة قال الامام الخطابي في كتابه « معالم السنن » قوله : « أوتيت الكتاب ومثله معه يحتمل وجهين : أحدهما : أن معناه انه أوتي من الوحي الباطن المتلو مثل ما أوتي من الوحي الظاهر المتلو والثاني : انه أوتي الكتاب وحيا يتل ، واوتي من البيان مثله ، أي أذن له ان يبين ما في الكتاب فيعم ويخص ، ويزيد عليه ، ويشرح ما في الكتاب ، فيكون في وجوب العمل به ، ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن » (١٠) .

(٤) البقرة / ٣٧ .

(٥) الأعراف / ٢٣ .

(٦) المائدة / ١ .

(٧) المائدة / ٣ .

(٨) المعارج / ١٩ ، ٢١ .

(٩) النحل / ٤٤ .

(١٠) عون المعبود شرح سنن داود جـ ٤ ص ٢٢٨

وروى ابن المبارك عن عمران بن حصين انه قال لرجل وقد سأله عن أشياء زاعما انها ليست في القرآن : « انك رجل أحمق أتجد الظهر في كتاب الله أربعا لا يجهر فيها بالقراءة ، ثم عدد عليه الصلاة ، والزكاة ، ونحو هذا ، ثم قال . « أتجده في كتاب الله مفسرا ؟! ان كتاب الله أبهم هذا وان السنة تفسر هذا » .

وروى الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : « كان الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك » (١١) .

وفي حديث معاذ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما وجهه الى اليمن : « بم تقضي » ؟! قال : بكتاب الله ، قال فان لم تجد ؟! قال : بسنة رسول الله ، قال : « فان لم تجد » ؟! قال : اجتهد رأيي ، ولا آلو — أي أقصر — فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في صدره ، وقال . « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله » رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، وقال فيه الحافظ ابن كثير : وهذا الحديث في المسند والسنن جيد .

وقال الامام الجليل الشافعي : « كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن » وقال امام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل — رحمه الله تعالى — : « السنة تفسر الكتاب وتبينه » .

وروى عن مكحول أنه قال : « القرآن أحوج الى السنة من السنة الى القرآن .

وهذا النوع من التفسير المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم هو الطراز المعلم ، ويجب الاعتماد فيه على الأحاديث الصحاح ، وتجنب الضعيف ، والموضوع ، فقد اختلق على النبي صلى الله عليه وسلم في التفسير كما اختلق عليه في غيره ، وفي الصحيح والحسن ما يغني عن غيرهما .

وقال الزركشي في البرهان : انه قد صح من ذلك كثير وساق أمثله لذلك .

وقد عقب السيوطي في الاتقان فقال : « اللي صح من

(١١) أعلام المحدثين للكتاب ص ٩

ذلك قليل جدا ، بل أصل المرفوع في غاية القلة ، وسأسردها في آخر الكتاب ان شاء الله » (١٢) .

والحق أني مع الزركشي ، وأخالف السيوطي فيما قاله : « من أن الصحيح من ذلك قليل جدا وأن المرفوع من ذلك في غاية القلة .. » فان قلته نسبيه الى ما روى عن الصحابة والتابعين ، والا فقد ذكر الامام الجليل البخاري في صحيحه كتابا كبيرا وهو « كتاب التفسير » استغرق نحو جزء من ثلاثة عشر جزءا من « شرح صحيح البخاري » للحافظ الكبير ابن حجر .

واليك ماذكره من هو أعرف بذلك من السيوطي ، وهو الامام الحافظ الكبير ابن حجر فقد قال بعد ما فرغ من شرح « كتاب التفسير » من الصحيح : « خاتمة : اشتمل كتاب التفسير على خمسمائة حديث وثمانية وأربعين حديثا من الأحاديث المرفوعة ، وما في حكمها (١٣) الموصول من ذلك أربعمائة حديث وخمسة وستون حديثا ، والبقية معلق (١٤) ، وما في مساه ، المكرر من ذلك فيه وفيما مضى أربعمائة ، وثمانية ، وأربعون حديثا ، والخالص منها — يعني بغير تكرار — مائة حديث وحديث ، وافقه مسلم على تخريج بعضها ، ولم يخرج أكثرها لكونها ليست طاهرة الرفع ، والكثير منها من تفاسير ابن عباس — رضي الله عنهما — وهي ستة وستون حديثا وفيه من الآثار عن الصحابة فمن بعدهم خمسمائة وثمانون أثرا ... » (١٥) وهذا يدل دلالة واضحة على أنه صح في التفسير المرفوع غير قليل ، والقول ما قالت حذام .

وقد كان من حكمة الله البالغة أن ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير القرآن أقل مما نقل عنه في الأحكام ولا سيما فيما يتعلق بنشأة الكون ، وأسرار الوجود ، والآيات الكونية ، والأنفسية التي هي مجال للنظر والتأمل ، والتي يكشف العلم من أسرارها كل يوم جديدا حتى أضافت الى اعجاز القرآن الأدبي ، واللغوي اعجازا علميا آخر .

وما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليحفى عليه شيء من هذه الأسرار بتعليم الله اياه ، وفيوضاته عليه ، ولكن كان يراعي أحوال المخاطبين ، واستعدادهم العقلي والنفسي ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يخاطب الناس على قدر عقولهم ومن كلام خريج مدرسة النبوة ابن مسعود رضي الله عنه : « ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة » رواه مسلم .

أمثلة لتفسير القرآن بالسنة : —

١ — من ذلك تفسير المغضوب عليهم باليهود ، والضالين بالنصارى في سورة الفاتحة : أخرج أحمد والترمذي وحسنه ، وابن حبان في صحيحه عن عدي بن حبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان المغضوب عليهم هم اليهود ، وان الضالين هم النصارى » والظاهر أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ هذا من قوله تعالى : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله ، وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير ، وعبد الطاغوت ، أولئك شر مكانا ، وأضل عن سواء السبيل » (١٦) وهم اليهود ، ومن قوله تعالى : « قل يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل » (١٧) وهم النصارى .

٢ — ومن ذلك تفسير الظلم في قوله تعالى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » (١٨) بالشرك روى أحمد والشيخان عن ابن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية «الذين آمنوا ...» شق ذلك على الناس ، فقالوا : « يا رسول الله ، وأينا لا يظلم نفسه ؟ » قال انه ليس الذي تعنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح : « ان الشرك لظلم عظيم » (١٩) انما هو الشرك .

---

(١٢) الاتقان حـ ٢ ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(١٣) وهو ما رواه الصحابي ما لا مجال للرأي فيه كما سيأتي في المقال التالي .

(١٤) المعلق : هو ما حذف من مبدأ اسناده رويا أو أكثر ، والمراد بأول السند من جهة الامام المحدث وذلك مثل قول البخاري وقال مجاهد كذا ، وقال ابن عباس كذا .

(١٥) فتح الباري جـ ٨ ص .

(١٦) المائدة / ٦٠ .

(١٧) المائدة / ٧٧ .

(١٨) الأنعام / ٨٢ .

(١٩) لقمان / ١٣ .